دور المسجد في تحقيق السلم الاجتماعي

The role of the mosque in achieving the social peace

إعداد

د. سامي يوسف عبد المجيد أحمد
أستاذ مساعد في التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة القدس المفتوحة – غزة

أ. جواد إسماعيل عبد الله الهشيم
محاضر غير متفرغ في الأدب والبلاغة والنقد– جامعة القدس المفتوحة– شمال غزة

بحث مقدم إلى:

مؤتمر كلية الشريعة الدولي الثاني بعنوان: (السلم الاجتماعي من منظور إسلامي)

كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين

1433هـ/2012م

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة للكشف عن دور المسجد وخطباء المساجد في تعزيز الوعي الفردي والجماعي بمفهوم السلم الاجتماعي وأهميته وأبعاده، وتكريس هذا المفهوم وتعزيزه

ولإبراز دور المسجد في تحقيق السلم الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، كانت هذه الدراسة، لتجلية هذا الدور المهم.

واعتمد الباحثان المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي في هذه الدراسة، وقد جاءت الدراسة في مقدمة وخمسة محاور رئيسية وسيتم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وخمسة محاور رئيسية، على النحو التالي:

- اثر المسجد في تحقيق السلم الاجتماعي
- دور خطباء المساجد والأئمة في تحقيق السلم الاجتماعي
- دور الإمام والخطيب في تفعيل وظائف المسجد لتحقيق مبدأ السلم الاجتماعي
- انحسار دور المسجد وأثره على السلم الاجتماعي.

مقدمة

إن للمسجد دوراً مهماً في حياة المسلمين، ومزايا جمة يجهلها كثير من الناس فالمساجد بيوت الله، فيها يعبد وفيها يذكر اسمه، وهى خير بقاع الله في الأرض ومنارات الهدى وأعلام الدين، فكما أنها مجالس للذكر، ومحراب للعبادة، فهي منارات لتعليم العلم ومعرفة قواعد الشرع، بل هي أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام.

ولهذا الدور العظيم في حياة الأمة، كان أول عمل فعله رسول الله ﷺ بعد هجرته من مكة إلى المدينة هو بناء مسجد قباء، ليلفت الأنظار ويوجه القلوب إلى أهمية هذا المكان الطاهر الذي خرج الجيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ، الذين نشروا العلم والإيمان في مشارق الأرض ومغاربها، عندما جعلوا مخافة الله بين أعينهم، ورضا الله غايتهم، فكللوا جبين الدهر شرفاً وفخاراً. (اللولو :1) وسرعان ما غدا مسجد المدينة– المسجد النبوي– رمزا لما يتسم به الإسلام من شمولية وتكامل، فقد أصبح مركزا روحيا لممارسة الشعائر وأداء العبادات ودائرة عسكرية لتوجيه علاقات الدول في الداخل والخارج، ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحاتها أصحاب الرسولﷺ تدار في باحاتها الندوات، ومؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة، ويمارسون التوحد والإخاء والانضباط(خليل: 1981: 149) وتفسر الوظائف الجليلة التي أنيطت بالمسجد منذ البداية سبب الأولوية التي أعطاها الرسول ﷺ لبناء المسجد، وظل المسجد يمثل النمط المركزي في بناء المدن الإسلامية ومركز النشاط في المجتمع الإسلامي. فلم يكن المسجد معبدا أو مقرا للصلاة فحسب بل كان– شأنه شأن الإسلام نفسه– متكاملا في مختلف جوانب الدين والسياسة والاجتماع(الجندي: 1968: 32)

فكان المسجد بوصفه الديني والثقافي من أهم العوامل التي تشيع المحبة والأخوة بين المسلمين بتلاقيهم مرات في اليوم الواحد يذكرون ربهم، ويتشاورون في أمور دينهم، واختفت بينهم عادات الكبرياء والأنانية، فالكل يسعى إلى مرضاة الله تعالى.

وللمسجد دوره في إرساء قواعد السلم الاجتماعي فله دوره الإيجابي مع الفقراء المحتاجين والاهتمام بكفالة الأيتام، وإنشاء لجان الزكاة، وفي رحاب المسجد كان التقاضي، وفي المسجد أيضاً كانت تقسم الغنائم وعلى هذا الأساس فالمسجد ضرورة دينية وضرورة سياسية واجتماعية أيضاً لكل مسلم على حدة وبالنسبة لجماعة المسلمين جملة(الصالح: 2000 : ص54- 58)

ويتمثل مفهوم السلم الاجتماعي التي تسعى العديد من المؤسسات لتحقيقه في حالة الرضا الدائم للمجتمع والانسجام المتتالي مع المتغيرات الاجتماعية والبيئية، متجاوزاً المشكلات والصراعات الداخلية والخارجية، سواء مع ذاتها والمحيطين بها، خالقاً حالة من التوازن ما بين المتطلبات والحاجات الذاتية والمعايير الاجتماعية أو الموضوعية، للوصول إلى حالة ارتياح في الاستجابة لمتطلبات الضغوط والتوترات الناشئة من التغيرات المستمرة، مما يتطلب استمرارية العملية التوافقية لدى الفرد. (الرفاعي، 2000، 19)

وإذا أريد من المسجد أن يقوم بوظائفه لتحقيق السلم الاجتماعي فليُمكن من ذلك ولتعاونه المؤسسات الأخرى، وعندئذ سيصبغ حياة مجتمعه بالصبغة الإسلامية التي صبغ بها مجتمعه الأول في عهد الرسول ﷺ والجيل الأول من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والعصور الزاهية للإسلام. على أنه ينبغي أن تكون هذه المؤسسات متعاضدة مع المسجد في مجال التوجيه والتثقيف ويكون عملها متكاملا منسجما بحيث تكون النتيجة هي المجتمع المسلم الصالح.

وقد استمرت المساجد تؤدي هذا الدور العظيم قروناً طويلة من الزمن، حتى أصبحت الأمة الإسلامية اليوم في مرحلة الغثائية الهزيلة، والمفككة من الداخل، وتكالب قوى الشر والطغيان والغزو عليها من الخارج، أدى إلى ضعف دور المسجد وانحسار مده ونضوب نبعه أو كاد في كثير من بلدان الإسلام. (السدلان: 2) وأصبحت معظم المساجد مقصورة على أداء فريضة الصلاة، أضف إلى ذلك أن معنى الجماعة في الصلاة الجامعة لم يبق منها سوى الشكل، أما المضمون فقد غاب كما غابت معظم المعاني التي أرادها الله تعالى عندما طلب منا التعاون والتعاضد والتوحد، فأصبح المسلم فردياً في أخلاقه وصفاته وعمله وتطلعاته، ونسي أن يد الله مع الجماعة(الصالح :2000: 58).

- ولما كان المسجد من أبرز المؤسسات الدينية التي تحظى بالقدسية وبمكانتها الكبيرة في التربية الروحية بل والسلوكية فقد جاءت هذه الدراسة لإبراز دور المسجد، في توطيد دعائم السلم الاجتماعي في المجتمع الإسلامي.

أولاً: أثر المسجد في تحقيق السلم الاجتماعي

يعتبر السلم الاجتماعي من المظاهر الإيجابية المعبرة عن الشعور بالأمن والطمأنينة،والتقبل من الآخرين، والتوادد مع أفراد المجتمع؛ لأن مفهوم السلم والأمن يتمثل في وعي الفرد وإدراكه لواجبه في محيطه الاجتماعي، وما عليه من واجبات بما ينعكس إيجاباً على حياته، وعليه فإن السلم الاجتماعي يتضمن شعور الفرد بإشباع حاجاته الاجتماعية في محيطه الاجتماعي حيث يشعر الفرد بذاته، ويعرف أدواره الاجتماعية، الأمر الذي يدفع الفرد عندئذ إلى الشعور بالحاجة إلى الانتماء للتمسك بتقاليد الجماعة ومعاييرها لدرجة أن الفرد يتمثلها كما لو كانت معاييره هو الذاتية(عثمان وآخر: 1425ه:33).

ولعل الإسلام هو الدين المنفرد الذي عُني عناية فائقة بالدعوة إلى السلم والسلام، وجعلها دعامته الأولى.. وقد تناول القرآن الكريم (السلم والسلام) في عشرات من آياته المحكمات. ليس ذلك فحسب، بل إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته، قال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(سورة الحشر:الآية23)، وجعله تحيته إلى عباده، وأمرهم بأن يجعلوا السلام تحيتهم، يلقيها بعضهم على بعض، وشعارهم في جميع مجالات الحياة، في المسجد والجامعة والمصنع ..وسمّيت الجنّة دار السلام، فقد قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(سورة الأنعام: الآية 127) والآيات التي ورد فيها ذكر السلام كثيرة.

من هنا كان السلام شعار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور الإسلام حتى الآن.

ولقد عَظَّم الإسلامُ المسجد وأعلى مكانتَه، ورسَّخَ في النفوس قدسيتَه، فكان أن احتل المسجد مرتبةً مميزة في أفئدة المسلمين، تزكو به نفوسُهم، وتطمئن قلوبُهم، وتتآلف أرواحهم، وتصفو أذهانُهم، يجتمعون فيه بقلوبٍ عامرةٍ بالإيمان، خاشعة متذللةٍ للخالق الديان فرسالة المسجد شاملة ومتنوعة، وضافية ومتعددة، تنتظم مجالاتٍ مختلفة لنشر القيم الإسلامية، وغرس الآداب والأخلاق الحميدة، وإبراز سمو الإنسان وكرامته، والحفاظ على وجوده وحياته، وتقويم سلوكه، وإشعاره بالأمن والطمأنينة، من خلال الأدوار المتعددة، والمجالات المختلفة التي يضطلع بها المسجدُ لتحقيق السلم الاجتماعي، وتوفير الطمأنينة النفسية والروحية، التي تخفف عن الناس أعباءَ الحياةِ وآلامها، وتكبحُ فيهم جموح الغرائز وشهواتها، وترسّخ أواصر المحبة، وروابط الألفة بين الأفراد، وبسط الأمن والاطمئنان والاستقرار في المجتمع، وتوطيد قواعده، وتثبيت دعائمه.(العمري: 1425ه: 5).

فرسالة المسجد شاملة ومتنوعة، وضافية ومتعددة، تنتظم مجالاتٍ مختلفة لنشر القيم الإسلامية، وغرس الآداب والأخلاق الحميدة، وإبراز سمو الإنسان وكرامته، والحفاظ على وجوده وحياته، وتقويم سلوكه، وإشعاره بالأمن والطمأنينة، من خلال الأدوار المتعددة،

والمجالات المختلفة التي يضطلع بها المسجدُ لتحقيق الأمن الاجتماعي، وتوفير الطمأنينة النفسية والروحية، التي تخفف عن الناس أعباءَ الحياةِ وآلامها، وتكبحُ فيهم جموح الغرائز وشهواتها، وترسّخ أواصر المحبة، وروابط الألفة بين الأفراد، وبسط الأمن في ربوع المجتمع، ونشر الاستقرار والاطمئنان في أرجائه، وتوطيد قواعده، وتثبيت دعائمه.

إن الصورة المشرقة للمسجد في الفكر الإسلامي، والمكانة الخاصة له في نفوس المسلمين، تجعل منه ذا أثرٍ فاعل ومهم في حياة الناس، حيث يهرع المصلون إلى المسجد لأداء العبادة، ويترددون عليه للقيام بما افترض عليهم، ومن خلال ذلك استقرت في أذهانهم الثقةُ بالمسجد، وتأصلت في نفوسهم قناعة تامة بما يسمعون فيه، وأصبح ذلك مترسخاً في قلوبهم، فما يصدر منه، وما يُلقى فيه محلَّ ثقةِ الجميع واطمئنانهم, وعند التأمل في الأدوار التي يقوم بها المسجد، لتحقيق السلم الاجتماعي نلاحظ أنه يقوم بأدوار عديدة، من أهمّها :(العمري: 1425هـ:6)

المسجد مصدر الأمن والأمان

للمسجد قدسية خاصة، ومكانة فريدة في قلب كل مسلم، فهو المكان الذي تطمئن فيه النفوس، وتهنأ في رحابه القلوب، وتجد فيه الخلاص مما يساورها من قلق، والنجاة مما تشعر به من خوف، والراحة مما تحس به من اضطراب، إذ تتردد في جنباته أسبابُ الاطمئنان، وبواعث الاستقرار والأمان، ومنها ذكر الله تعالى، وتتلى فيه آياتُ القرآن الكريم، ويسمع في أنحائه كلُّ ما يطهر القلوب، ويصفي النفوس، وينقي الأفكار والأذهان، ويزكي الأرواح ويهذبها، ويغذيها ويشحنها بروح اليقظة الإيمانية، والاستقامة السلوكية ..

إن الفرد حين يلتصق بالمسجد التصاقاً وثيقاً، ينعكس أثر ذلك إيجاباً على المجتمع بأسره، حين يتلقى في المسجد معاني الفضيلة، وقيم الإسلام السامية، التي تشيع في النفوس الاطمئنان، فتستقيم على المنهج الحق، وتنحسر فيها دواعي الشرور والإفساد .

والمسجدُ موئل يتسابق إليه المسلمون إذا نزلت بهم كارثة، أو حلَّت بأوطانهم مصيبة، أو هددهم خطر، فيلجؤون فيه إلى ربهم، وتخضع نفوسهم لعظمته، ويلحون عليه بالدعاء، ويظهرون له الذل والخضوع والاستكانة، ليفرج كرباتهم، ويزيح أحزانهم،، ويدفع عنهم الشرور، ويرفع عنهم المصيبة والبلاء، ويفيض عليهم من خيراته، ويعمهم بفضله ورحماته .(الربخي: 1432ه:7)

فحين تصاب البلاد بالبلاء، يفزع الجميع إلى المساجد، وترتفع أيديهم إلى مجيب الدعوات، ويتضرعون إلى فارج الكربات، ويهرع المصلون إلى المساجد، حين يخوفهم ربُّهم بالآيات، وتحل بهم المصائب والنكبات، والتي تهتز من هولها المشاعر، وتقشعر من عِظَمِها الأبدان، كالزلازل والصواعق والفيضان، وكسوف الشمس وخسوف القمر وانفجار البركان، بسبب التمادي في الغي

والعصيان، فينطرح الجميع بين يديه، بدعوات خاشعة، وقلوب خاضعة، وعيون دامعة، حتى يكشف ما حل بهم من البلاء، ويرفع ما نزل ببلدانهم من الأضرار .ولتكون هذه الآيات موعظة وذكرى، ليأخذوا حذرهم، ويستدركوا ما فات في بقية عمرهم، ويستعدوا لما هو آت، ويَجِدُّوا في إصلاح أنفسهم وتزكيتها، ويجتهدوا في تقويم اعوجاجها وتربيتها، حتى يتحقق لهم موعود ربّهم، فيزول عنهم الحزن، ويذهب عنهم الخوف، وينحسر عنهم القلق، وينعموا بالأمان، ويعمهم الاستقرار والاطمئنان . (العمري 1425ه: 6-8)

التعارف والتآخي

يتميز المجتمع المسجدي عن غيره من المؤسسات بسيادة شعور المحبة والتآخي بين أفراده، ويلحظ أن معظمهم يرتبطون بعلاقات قوية ومتماسكة، ويظهر ذلك عليهم من خلال حالات التزاور والتعاضد، وهذا نتيجة رؤية بعضهم بعضا كل يوم خمس مرات، حيث أوجدت بينهم وحدة فكرية، وشعورا إيجابيا اتجاه بعضهم، وذلك بمؤثرات عدة سبق وأن ذكرناها، مما أدى إلى وحدة انتماء صادقة بينهم، ويرجع الفضل في ذلك كله إلى أجواء المسجد الإيمانية، وإلى ما يلقى من دروس ومحاضرات وخطب، إضافة إلى تأثير الصلوات وأجوائها، وما يتلى عليهم من آي القرآن الكريم، أضف إلى ذلك أثر إفشاء السلام بينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : افشوا السلام بينكم (الربخي:1432ه: 14) فالإسلام ينشد السلام، لأنه الأمن والأمان، ويسعى إلى تعميقه في النفوس، وترسيخه في القلوب، وإشاعته بين الناس، حتى يشعر الجميع بالارتياح والأمان، والاستقرار والاطمئنان، ويسود بينهم الشعور الصادق، والعواطف النبيلة، حيث حَضَّ الإسلام على توطيد تلك الأخوة، وبيَّن مقتضياتها ومستلزماتها في كثير من النصوص، وقال ﷺ:المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، فلقد أوضح المصطفى عليه الصلاة والسلام بثاقب نظرته التربوية، التي استقاها من تأديب ربّه له، أنه لا يستل سخائم الحقد من الصدور، ولا ينتزع أدران التنافس والحسد من النفوس، إلا أخوة صادقة تسود حياة المسلمين، وتعم المجتمع المسلم على أساس من المحبة والتواد، والتناصح والألفة والبِشر، وينتفي عنها الكيد والغل، ويزول الحسد والتباغض .

لذا فإن للمسجد أهم وسيلة تعمق الصلات بين المسلمين، وتفتح قلوبهم للمحبة والتلاقي على الخير، وتغرس بذور المحبة في النفوس، وتتعاهدها بالرعاية على مدار اليوم والليلة، فإذا صفت النفوس، وتآلفت القلوب، عاش الجميع في أمن وسلام، ومحبة.(العمري: 1425ه :14-16)

المساواة وترسيخ الأمن في النفوس

أعطى الإسلام اهتماما خاصا بقيمة المساواة، فهي إحدى خصائص هذا الدين، وتتجلى في أروع صورها حينما يؤدي المسلمون صلواتهم في المسجد، وبكيفيتها المعروفة، حيث قضت على جميع الفوارق الطبقية، المصطنعة، (فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)، و ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ("الحجرات:13) هذا مبدأ، ثم يؤم الناس أفقههم بكتاب الله بغض النظر عمن هو من حيث نسبه، ومركزه الاجتماعي، وبغض النظر عن لونه، وغناه أو فقره، والجماعة في صلاتها تنتظم صفوفا، وعلى قاعدة : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (الواقعة: 10)

كما يؤدي المسجد دوراً مهماً في تهذيب النفوس، وتنقيتها من شوائب الحقد والضغينة، المؤدية إلى التشتت والافتراق، والمثيرة للنـــزاع والانقسام والشقاق، إذ يغرس في نفوس الأفراد السلوك الصحيح لتنمية الشعور بأن الجميع أسرة واحدة، تجمعهم رابطة الإسلام، وتضمهم وشيجة الإيمان، وذلك من خلال المساواة التي هي من أبرز القيم التي أصّلها الإسلام في النفوس، والمنبثقة من وحدة الأصل الإنساني.

فقد أعطى الإسلام اهتماماً خاصاً لقيمة المساواة، وجلاَّها في أروع صورِها بين أفراده وهم يمارسون عباداتهم، وظهرت واضحة جلية مطبقة بين المصلين في المساجد. فالإسلام منذ بزوغ فجره قضى على جميع الفوارق المصطنعة، وأزاح نظرة الاستعلاء التي كانت سائدةً في الحياة الاجتماعية الجاهلية.(العمري: 1425ه ،17)

فإن أهم مظهر يتجلى في المسجد أثناء الصلاة هذه الصفوف المتراصة في إخاء ومحبة، الناس فيه سواسية كأسنان المشط، فليس للمسجد مكان للوزراء وآخر للأمراء، وثالث للخفراء، كلا بل الصف الأول لمن يحضر سابقاً، نجد الغني بجوار الفقير والخادم أمام المخدوم، والعالم المؤهل وفي أرقى المناصب قد يتقدم عليه عامل أو فلاح بلا غضاضة أو عدم ارتياح، وإنما الكل في جو روحاني طاهر فيه الصفاء والمحبة والإحساس بالرضا(عبيد: 1997: 40)

إذاً فالمسجد يؤكد المبدأ القويم الذي قرره الإسلام من المساواة بين جميع أفراده، ويؤكد الحقيقة الناصعة من تساوي الناس كلهم أمام خالقٍ واحد، ووقف رسول الله ' أمام الجموع الغفيرة في حجة الوداع ليعلن المساواة ويؤكد عليها، فقال عليه الصلاة والسلام < :إنَّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى(العمري: 1425ه: 16- 19) فالمسجد عملياً يعلم الناس عملياً الوعي الاجتماعي الرائع ليتحقق الخير للمجتمع والكل ينطلق لأداء واجبه بهدوء واستقرار.(عبيد: 1997: 41)

المسجد يقضي على التفرقة المذهبية بين المسلمين :

فالمسلمون يؤدون شعائرهم التعبدية في المسجد الواحد، على اختلاف مذاهبهم، يصلون معا جنبا إلى جنب، بإمام واحد، لا إشكال ولا حساسيات بينهم، سواء كان الإمام إباضيا أو سنيا أو شيعيا، وهذا ما نتج عنه جو من الألفة، والمحبة، والانسجام، فلا توجد بينهم شحناء، ولا تشنجات، وطبعا لا عبرة بما يفعله سفهاء أتباع كل مذهب – فكلهم عباد الله، يطلبون رحمته وغفرانه، ويسألونه قبول الصلاة والدعاء، ووضع المذهب – كل مذهب – في موقعه الصحيح من كونه عبارة عن مدرسة أو رؤية حاولت تقديم فهم للإسلام، وتفسير لنصوصه، ولا يمكن بأي حال أن يحل المذهب محل الإسلام وقضاياه الكبرى والتي هي محل اتفاق .(الربخي: 1432ه: 15)

ثانياً: دور خطباء المساجد والأئمة في تحقيق السلم الاجتماعي

كما أسلفنا فإن للمسجد دوراً فاعلاً في صياغة الحياة إذ لا ينفصل أو يتعارض مع دور المؤسسات القائمة على خدمة الفرد والمجتمع.

فرسالة المسجد لا تقتصر على الجانب التعبدي بل تؤكد على الأخلاق والمعاملات في إرساء السلم الاجتماعي، وهذا يتطلب لها أُناسٌ ذوو كفاية ودُربة، فتركُ الإشراف عليها للمصادفات العارضة لا يليق البتة.

لقد تولى قيادته الروحية في عصور كثيرة رجالٌ أحسنوا القيام بأحماله والحق أم المسجد مرفق عام يمكن أن تتوسع الدولة في استغلاله على نطاق واسع لرفع مستوى الجماهير مادياً وأدبياً (الغزالي: 1991: 262) وحسب خطباء المساجد أن يكون قدوتهم رسول الله ﷺ في التربية التي ترسم معالم الارتقاء والنهوض لحياة أفضل.

إن دور المسجد وهو الرحى في إحلال السلم الاجتماعي عبر بث روح الإخاء وغرس بذور المحبة والتسامح يستند على النص المقدس ولو أن خطباؤه اعتمدوا على الهوى لتشوهت رسالته.

ولا ندري هل غاب عن أذهان خطباء المساجد أن السلم الاجتماعي، من الضرورة بمكان للحد من سطوة الخوف والجوع اللذين يمزقان النسيج الاجتماعي.

وعندما نتمعن النظر في سياسة الحاكم وتوجيه الولاة ندرك هذه الخاصية الإسلامية التي ترعرعت في ربوع الحكم الإسلامي، ولينقف على ما كتبه عمر بن الخطاب إلى أبو موسى الأشعري حيث يقول:" وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها. فإياك يا عبد الله أن تكون كالبهيمة همها في السمن والتسمن حتفها وأعلم أن للعامل مرداً إلى الله فإذا زاغ زاغت رعيته وإن أشفى الناس شفيت رعيته وأسعد الناس من سعدت به الناس.(فكري: 136) إن هذا السلوك التربوي يجعل الوالي غير مميز عن

الناس... بل يطبع قانوناً سامياً تستشعر الرعية معه بالعدل والمساواة... كما أنه في ظل استفحال الخلاف بين طائفتين يتوجب على خطباء المساجد إذا ما رأوا عناداً من طائفة أن يقتدوا بقول الحق ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ إن الله جل وعز شأنه سمى الطائفتين بالمؤمنين... فلا مكان لمفردة التكفير من طائفة لأخرى, يقول سيد قطب في الظلال:" والقرآن قد واجه- أو هو يفترض- إمكان وقوع القتال بين طائفتين من المؤمنين، ويستبقي لكلتا الطائفتين وصف الإيمان مع اقتتالهما، ومع احتمال أن إحداهما قد يكون باغية على الأخرى. وهو يكلف الذين أمونوا- من غير الطائفتين المتقاتلتين طبعاً- أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين؛ فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع إلى الحق فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة، وأن يظلوا يقاتلونهم حتى يرجعوا إلى أمر الله.(قطب: 3343)

كم سمعنا من خطباء يتحدثون عن الاستبداد السياسي ومساوئة... ولكنهم جادوا عن الجادة عندما مارس اللون الديني مظاهر الاستبداد وانطلق يهلك الحرث والنسل وتطويع الدين لهواه. يقول الشيخ محمد الغزالي: " وقد رأينا الشخص يستولي على الحكم بانقلاب عسكري مثلاً أمد محدود يتحول حكمه العسكري إلى حكم مدني مهدت له انتخابات ثم تسمع هذا الشخص يقول: إن الشعب منحني ثقته!! إن شعبي حملني مسئولية قيادته!! إن هتاف الجماهير لي يزيدني حرصاً على إجابة رغبتها في تولي الحكم ثم يمضي هذا الحاكم في طريقة يبغي تحويل كل شيء إليه فيتدخل في الإعلام وفي القضاء وفي الجامعات والجامع والأمن والتموين والتجارة والتعمير حتى يضمن بقاء الأمور في يده واستخفاء المعارضين من طريقة(الغزالي: 1985: 21-211).....

إن هذا النمط وإن تسربل بسربال الدين في الحكم لن يحقق للرعية السلم الاجتماعي بل يساهم في شرخ البناء وتفتيت المجتمع .

ندرك أن الواقع السياسي ألقى بظلاله على طبيعة دور المسجد؛ ففي الوقت الذي تجد فيه من يعزز دور فئة أو طائفة وان كان على حساب النص القرآني أو الحديث الشريف, نجد هناك من يتعرض للسلبيات بأسلوب لا يترتب عليه مساءلة، وهناك من أدار ظهره للواقع السياسي، وأخذ يدور في خطبته حول موضوعات أخرى . أما الصنف الأول والذي بلغت به الجرأة في حرف الكلم عن مواضعه فقد وجدناه قديما وفي اغلب العصور. ويقول عبد الرحمن الشرقاوي في وصفهم :"وهؤلاء هم آفة الدين في كل زمان ومكان...إن الواحد منهم ليزهو بغناه ويتباهى بما يملك وينفق ويستمتع بالطيبات ويصم أذنيه عن أنين المساكين ويطمئن ضميره الدني إلى هذا

الترف كله وفي الأمة جياع"(الشرقاوي: 118) . ألم يكُ جديراً بمثل هؤلاء أو الصامتين عن قول الحق إن يقنوا وجلين خائفين من عاقبة الأمور.

ولله در الإمام علي بن أبي طالب إذ يقول:"رحم الله امرأ رأى حقاً فأعان عليه أو رأى جوراً فرده وكان عوناً بالحق على صاحبه"(عبده: 1996 :242)

وأخيراً فإن لهجة الحق ونبرة الصدق يجب أن تلازم خطباء المساجد ولا يخشون في الحق لومة لائم فلا أحد من البشر يحول بينهم وبين الحقيقة الناصعة.

ثالثاً: دور الإمام والخطيب في تفعيل وظائف المسجد لتحقيق مبدأ السلم الاجتماعي

الخطابة لا تزال هي أكثر الوسائل فعالية في نشر الدعوة الإسلامية، حيث إنها تتبوأ في الإسلام مركزًا ممتازًا بالنسبة إلى نشر الدعوة وتبليغها للناس منذ بدء الرسالة المحمدية، والسر في ذلك أن الخطابة على العموم كانت ولا تزال هي أكثر الوسائل فعالية في نشر الدعوات وبث الأفكار وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن من مختلف الطبقات والمستويات فالخطبة أسرع إلى فهم العامة وأبلغ في التأثير على الجميع ولها مفعول مباشر وسريع في توجيه الرأي العام. (السدلان :ص11) لذلك على خطيب المسجد أن يعمل على تعزيز قيم السلم الاجتماعي ليحافظ المجتمع على تماسكه ووحدته واستقراره، ومن هذه القيم:

تعزيز قيمة التسامح

التسامح هو خُلق إنساني أصيل دعا إليه الإسلام؛ لأنه يرفع الحرج في العلاقات بين الناس ويجعل الإنسان يترفع عن الكره والبغضاء وروح الثأر والانتقام، وهى صفات تفسد وتدمر الحياة البشرية على الأرض، وتقطع سبل التفاهم والتعاون بين الناس.

وفى مقابل ذلك يدعو سبحانه وتعالى إلى العفو والتسامح ونسيان الأحقاد والعمل بالحسنى، فيقول تعالى : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم , وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصلت: الآية:34-35 .(شفيق: ص31)

وعلى مراحل متعددة من التاريخ اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم بالتسامح، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في التسامح مع أعدائه الذين حاربوا دعوته وأخرجوه من بلده وآذوه وحاولوا قتله، وعندما نصره الله عليهم يوم فتح مكة المكرمة قال لقريش في حوار نموذجي بين المنتصر والمهزوم : (ما تظنون أنى فاعل بكم)؟ قالوا : خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال عليه الصلاة والسلام : (أقول لكم كما قال أخي يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء) . .(شفيق:ص31)

وواقعة أخرى تبين هذا التسامح، فلقد جاء كتابه –صلى الله عليه وسلم– إلى أهل اليمن" أنه من كان منكم على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية(واصل :1998: 39)

وها هو عمر– رضي الله عنه حين ذهب– حين ذهب إلى بيت المقدس وجد هيكلاً لليهود ستره التراب ولم يبق منه إلا أعلاه، فجاء بفضل توبه وحمل بعض التراب المتراكم عليه ليزيله فاقتدى به جيش المسلمين وأزالوا ما ستر من الهيكل من تراب ليقيم اليهود شعائرهم الدينية، وأي تسامح بعد هذا.

وواقعة أخرى يتبين فيه بجلاء تسامح المسلمين مع أهل الذمة، أن عمر –رضي الله عنه– لما دخل بيت المقدس وحضرته الصلاة وهو بجوار كنيسة القيامة فما كان منه إلا أن صلى خارجها خشية أن يحولها المسلمون إلى مسجد ويمنعوا النصارى، ويسجل التاريخ الإسلامي أكثر من واقعة تبين اتسام المسلمين بالتسامح مع الآخرين(واصل 1998 : 39–41)

هذه هي المبادئ السامية التي وضعها الإسلام لتقوم عليها العلاقات الإنسانية، ويدور في ضوئها الحوار أياً كان نوعه وموضوعه وغايته، وإذا أخذت الجماعات والدول بهذه المبادئ فيما بينها تكون قد خطت الخطوة الصحيحة في حل المشكلات، وتحقيق التعاون فيما بينها مصداقاً لقول الله جل شأنه : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) (سورة المائدة: آية2)

الالتفاف حول ولاة الأمر

إنَّ طَرْقَ موضوع وجوب طاعة ولاة الأمر، من أهم ما يجب أن يذكر به الخطيبُ المصلين بين الحين والآخر، وأن يؤكد عليهم الالتزام بالطاعة، وأن التفاف الأمة حول قيادتها دليلُ وحدتها، وطريق فلاحها، وسبيل رقيها ونهضتها ونجاحها، ومصدر عزتها ومنعتها، ومعاونة ولاة الأمر في أداء مهمتهم، ومساعدتهم في حماية المجتمع من المفاسد والشرور، من أهم ما يلزم الرعية، والإبلاغ عن المشبوهين الذين يتربصون لإحداث الفوضى، واجب كل مسلم حماية للبلاد من السفهاء والمفسدين، وتجنيباً لها من القلق والفوضى، وقطعاً لطمع الطامعين، ودحراً للسفلة والمعتدين.

إن الالتزام بطاعة ولاة الأمر سبيلٌ لنصرة الحق، وإقامة العدل، ورفع الظلم، وردع الظالم، وطريق لاستقرار المجتمع وأمنه، وحفظ لنفوس أفراده، وصيانة لأموالهم وأعراضهم، ورعاية لمقدسات المسلمين، وتوفير لوسائل الطمأنينة والأمان وحدة المجتمع وتماسكه..(العمري:1425ه:25–26)

ترسيخ الأمن في النفوس

تهدف تعاليم الإسلام إلى بناء مجتمع متماسك، تقوم علاقات أفراده على المودة والالتئام، والمحبة والانسجام، وتنحسر فيه دواعي الفرقة والشتات، والتمزق والاختلاف، والشحناء والعداوة، فوحدةُ المجتمع المسلم لا يقاس بها وحدةُ أي مجتمع آخر، فرابطة الإيمان تجمع بين أفراده، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وهي أشرف الروابط وأوثقها، وأفضل الوشائج وأكرمها، وقد أكدت

النصوص الشرعية أهمية الالتزام بمضامين الروابط الإيمانية، وحذرت من الانقسام والتنازع، فالإسلام يجمع ولا يفرق، ويؤلف ولا ينفر، ويقرب ولا يباعد، فالاجتماع قوة ومنعة، والافتراق ضعف وَخَوَرٌ وفتنة .

لقد أقام الإسلام المجتمع المدني على أساس المحبة والتواصل، والتعاون والتكافل، وألفَّ رسول الله ' بين فئات المجتمع المدني كلها، وقارب بينها، وأبعد عنها أسباب الفرقة والتمزق، وما يثير الخلاف والنعرات في أوساطه، وأوضح سمو علاقة المسلم بأخيه، والتي ترتكز على الود والتآلف، وتحمل الأخطاء والزلات، والصفح عن المثالب والهفوات، وذلك من أهم وسائل تعميق الأمن في النفوس، وترسيخه في المجتمع .

إن الإسلام يؤكد مبدأ القوة والترابط بين أفراد المجتمع، وتحقيق معاني الأخوة الإيمانية،

وعندها يشعر الجميع بوحدة الأمة، وترابط مصالحها، وتلك ركيزة عظمى في توفير الأمن للمجتمع، إذ يدرك كلُّ فرد مسؤوليته، ويقوم بواجبه، فتسهر الجماعة على راحة الفرد، ويقوم الفرد بخدمة الجماعة، فيتكاتف الجميع، ويعلمون على احترام أنظمة مجتمعهم، والتزام بتعاليمه، واحترام حقوق الآخرين، ويتعاون الجميع على مكافحة الفساد، وحماية المجتمع من الجريمة، ومكافحة دواعيها، ووقايته من كل ما يؤدي إلى زرع بذور الشر والفتنة، وسَدّ المنافذ التي قد يتسلل منها الأشرار والمفسدون، والبغاة والمرجفون.

والمجتمع المسلم يعتمد في بناء أفراده على قوة الرابطة التي أسسها الإسلام منذ بزوغ فجره، والمتأمل لحقيقة تلك الرابطة يتضح لـــه أن العقيدة تحرم الأذى والعدوان، وتمنع الظلم والبغي والإجرام، وتحفظ الحقوق، بحيث يجد المسلم نفسه أمام حدودٍ يجب التوقف عندها، وعدم تجاوزها، ويردعه وازعه الديني عن الوقوع في شيء مما منع منه، ويحس بشعور قوي يربطه بأفراد مجتمعه، ويحجزه من التعدي عليهم، ويدفع به إلى الترابط والتماسك معه.

وخطيب الجامع، وإمام المسجد، عليه أن يعنى بترسيخ معنى الوحدة في نفوس المصلين، وتعميق أواصر المحبة بينهم، ويذكرهم بأن الإسلام اعتمد الأخوة دعامةً لوحدة المجتمع، وركيزة للترابط بين أفراده، فلا يسمح الإسلام بقيام أحزاب أو تجمعات من شأنها تمزيق وحدة المجتمع، وتبديد قوته، وتفريق كلمته، أو بروز خلافات ينتج عنها التناحر، أو تسفر عن القطيعة والتناحر، فذلك شرٌّ عظيم، وخطر جسيم، ينتج عنه الكثير من الأحداث المروعة، والمآسي المفجعة، ويزعزع أمن المجتمع، ويؤدي إلى قلقه واضطرابه، وإن مسارعة الخطيب أو الإمام إلى إزالة، وإزالة خلافاتهم، وتوطيد علاقاتهم الأخوية، وترسيخ دواعي الألفة والانسجام، لأن ذلك من أقوى دعائم ترسيخ أمن المجتمع، وضمان الاطمئنان والحياة السعيدة، وعليه أن يذكرهم بأنهم وحدة قائمة، متشابكة متآلفة، كل عضو منه يعمل في سبيل مصلحة الجميع، على نحو قول المصطفىr :' مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم

وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. (العمري:1425ه:26-28)

الاعتدال والوسطية.

قال صلى الله عليه وسلم: (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى (السنن الكبرى للبيهقي، رقم الحديث 4404 و 4405.،شعب الإيمان للبيهقي، رقم الحديث 228و3716)، ولقوله أيضا : (تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلالة لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة) (صحيح ابن حبان، رقم الحديث 475، وسنن الترمذي، رقم الحديث1928، والمعجم الأوسط للطبراني ،رقم الحديث 8505)، وقد شرع الإسلام للناس حقوقا، وعمل على رعايتها، وعلى صيانة الدماء والأموال والأنفس والأعراض، وحرم الاعتداء، ودعا إلى إشاعة الأجواء الآمنة واعتبرها حقا للجميع .

أما ما نشهده اليوم من مخالفات هذه المبادئ فالإسلام بريء منها، وأصحاب تلك التصرفات بالتأكيد لم ينهلوا من معين المسجد الصافي أبدا، وللتأكيد على ذلك فإن معظم من يقترفون مثل هذه المخالفات هم بعيدون كل البعد عن المسجد ورسالته، أو عن مبادئ الفقه الإسلامي وأصوله، ولم يستمسكوا بشيء يسير من مدرسة الإسلام الأخلاقية .(الربخي:1432: 16)

فالتوازن والاعتدال من خصائص التشريع الإسلامي، والوسطية من أبرز مزاياه، فلا جفاء ولا غلو فيه، فالإسلام يمقت كل اتجاه يهدف إلى الغلو في الدين، وينكر المبالغة في التقشف مبالغة تقود إلى التنطع وتجاوز الخطوط المحددة، حيث حَضَّ على الاعتدال، وحّثَّ على التوفيق بين حق العبادة وحق النفس في الحياة، فالغلو والتنطع يتعارضان مع تشريعات الإسلام الداعية على التيسير ورفع الحرج والبعد على المشقة، والمتتبع لما وجد من انحرافات عقدية أو عملية من بعض الأفراد والطوائف عبر العصور، وما أفرزته تلك المعتقدات المخالفة لمنهج الحق من أثرٍ سيءٍ على الأمة، ونكبات أصيبت بها، يدرك أن ذلك حصل بسبب الغلو في الدين، وتجاوز الحدود، والفهم السيئ لنصوص الشريعة الإسلامية، مما أدى إلى إحداث الفتن بين المسلمين عبر العصور، وزرع بذور الفرقة والشقاق، فالإسلام يدعو إلى الاستقامة، وسلوك المنهج الوسط، دون انحراف أو تقصير، ويحرم الغلو ويمقته، سواء كان في الاعتقاد أو العبادة أو المعاملة، وكل تصرف صادر من المغالين والمتنطعين يرده الإسلام، مما يخالف أصول دعوته الصحيحة، ومنهج شريعته القويمة، ويؤكد على وجوب إزالة كافة الأسباب المؤدية إلى الغلو، وسدِّ جميع المنافذ الموصلة إلى العنف.

إن دعوة الإسلام إلى الوسطية والاعتدال من أهم ما يجب أن يتحدث عنه الإمام والخطيب في المسجد، ومن أبرز ما يجب أن يوضحه للناس، وأن يكشف لهم وسطية الإسلام

واضحة في سائر تشريعاته، وأن على جميع أفراد المجتمع أن يستشعروا منهج الإسلام الرصين في دعوته إلى التوازن والاعتدال، والواقع يشهد أن المغالين والمتنطعين أضيق الناس صدراً، وأشدهم قلقاً والشكوك والظنون، والأخبار الكاذبة، والمصادر الواهية .فلزوم منهج الوسط الذي بنيت عليه الشريعة الإسلامية، هو طريق السعادة الحقة، وأصحابه هم أهل العدل والرحمة، والرفق والتيسير، والتسامح والتعاون، وأحرصهم على تحقيق الأمن والاطمئنان، ونشر الاستقرار والسلام، وأبعدُهم عن إثارة الفتن والفرقة، وهم أهل القرآن وخاصته، الأمة الوسط، الشهداء واضطراباً، وأكثرهم غضباً وغلياناً، وربما عمدوا إلى استخدام القوة لحمل الآخرين على موافقتهم في آرائهم، وسلوك منهجهم، وقد انزلق البعض في هذا المسلك، حيث سرى في أوساط فئة من الشباب الحكم بكفر فلان، أو وصفه بالفسق أو العلمنة أو نحو ذلك، وهذا له آثار سيئة تجرع المجتمع آلامها وغصصها، وعاشت الأمة محنها وشرورها، فقد زاغت قلوب تلك الفتن، وطاشت عقولهم، وانحرفت أفهامهم ورغبت أنفسهم عن سلوك المنهج الحق، وأطلقوا لألسنتهم العنان في الحكم على الآخرين بما يرونه، وإخراجهم عن دائرة الإسلام اعتماداً على الأقاويل والشائعات على الناس، وهم أهل القرآن ومن شرح الله صدره لهذا الدين، (العمري:1425ه:27-30)

المساواة:

لعلنا نلحظ من أن الوزير الأول في الإعلام في الدولة الإسلامية عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان بلال الحبشي. لقد حطم الإسلام الفوارق الزائفة من أول يوم لقيام الدعوة الإسلامية، وتأمل في خيرة الصحابة والصفوة من المؤمنين- وهم: بلال الحبشي، وأبو بكر العربي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي،- ونجد أن من حق العبد الأسود وهو في خدمة سيده ما لسيده تماماً من الحقوق الدينية، يصاحب القائد، ويجالسه ويناقش في أمور الدين.(عبيد: 1997: ص41) وإذا قامت المساواة في المجتمع استقامت العلاقات بين أعضائه وتحقق التعاون فيما بينهم لحل المشكلات ومواجهة الصعوبات .(شفيق: 70)

التعاون الإنساني والتكافل الاجتماعي

الحقيقة أن القرآن الكريم وضع قواعد واضحة للعائلة البشرية، وأعلن الإسلام أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة، وهذا يعني وحدة الأصل الإنساني، فقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(سورة النساء: آية 1)، والناس جميعاً في نظر الإسلام هم أبناء تلك العائلة الإنسانية، وكلهم له الحق في العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز، فالإنسان مكرم في نظر القرآن الكريم، دون النظر إلى دينه، أو لونه، أو جنسه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(سورة الاسراء: آية 70).

فرسالة المسجد تحث الغني على المساهمة في فك أزمة المجتمع، والتوسعة على المحتاجين، وعدالة توزيع الزكاة التي شرعها الله سبحانه وتعالى فرضاً على من ملك النصاب المحدد، والإسلام نهى الغني أن يمن على الفقير بصدقته، أو يعيره بالقدر الذي أخذه من الزكاة، أو أن يستعبده، أو أن يتحكم في رقبته بهذا العطاء.(عبيد:1997: 125)

لذا تتبوأ العلاقات الاجتماعية في الإسلام مكانة عظيمة، ومركزاً متقدماً واهتماماً واسعاً، لتحقيق معاني التكافل الاجتماعي، ومبادئ الترابط الأخوي، ودعم أجواء الأمن والسلامة، وصيانة المجتمع المسلم من أخطار التعسف والنـــزاع، ودواعي الأنانية وحب الذات .

لقد قرر الإسلام التكافل بمجالاته المتعددة، المعنوية والمادية، لإيجاد مجتمع فاضل متعاون، فالأفراد، فيه ليسوا على نسق واحد في الفهم والمستوى المعيشي، بل يتفاوتون في أحوالهم وأوضاعهم، فيحتاجون إلى تنظيم دقيق يضبط أحوالهم، ويرعى شؤونهم، ويحقق التوازن والانسجام بين مختلف الفئات، حتى يشعر كل فرد بعضويته الكاملة في المجتمع، ويشارك في واجباته وينهض بأعبائه، ليتحول المجتمع كله إلى أسرة واحدة، إخاء ومودة، ورحمة، ومناصرة وقوة، كما قال :'المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

فالتكافل الاجتماعي كفالة متبادلة بين أفراد المجتمع للتعاون في المنشط والمكره على تحقيق منفعة أو دفع مضرة ولا يكون لفريق في هذا التكافل فضل على فريق آخر، إذ العبء فيه موزع على كافة الأفراد والفائدة فيه عائدة على الجميع وهذه الصورة لا تتحقق إلا في المجتمع الإسلامي الذي يرتبط أفراده برباط العقيدة. (عنبر:37:2000)

ويمكن لإمام المسجد وخطيبه أن يقوم بدورٍ حيوي لتحقيق الترابط الأخوي، ودعم أجواء الأمن والسلامة، وصيانة المجتمع من دواعي الأنانية والتعسف، لإيجاد مجتمع فاضل متعاون، من خلال حثّه المصلين على القيام بتوطيد العلاقة بينهم، و تجسيد نظام التكافل الاجتماعي، وشعور كل مسلم بمسؤوليته نحو مجتمعه، فيعمل كل فرد على تعميق معاني الأخوة الإيمانية، بتبادل مشاعر المحبة والود، وتصفية النفوس من الشحناء، وتنقيتها من العداوة والبغضاء، فالعناية بالتكافل الاجتماعي، وتطبيقه عملياً، يحفظ المجتمع وينقذه من لجوء البعض إلى طريق الإجرام، والوقوع في مزالق الانحراف، ومحاضن الرذيلة، وسلوك السبل الملتوية للوصول إلى تحقيق الهدف، مما يؤدي إلى خلخلة أمن المجتمع، وتفككه واضطرابه، وارتفاع نسبة الجريمة، فالتكافل الاجتماعي لـــه دور مهم وفعال في انضباط الأفراد، وتحقيق الأمن الاجتماعي، وترسيخ الاستقرار والاطمئنان، وغرس القيم

الإيمانية بين جميع فئات المجتمع، وهي القيم التي تحفظ على المجتمع أمنه وسلامته، وتبث فيه روح الإخاء، وتبعده عن الاستغلال والعدوان، وتنقي النفوس من الأحقاد والعداوات.(رضوان، ص6)

حقوق الإنسان

إذا كانت الحضارات غير الإسلامية، ومذاهب الإصلاح فيها قد وضعت مقومات السلم الاجتماعي في باب حقوق الإنسان؛ فإن الرؤية الإسلامية لم تقف بها عند درجة الحقوق التي يحق لصاحبها أن يتنازل عنها طواعية واختيار، وإنما ارتفعت بها إلى درجة الفرائض والضرورات التي لا يجوز للإنسان أن يتنازل عنها، ولا أن يفرط بها، حتى ولو كان هذا التنازل والتفريط طوعاً لا كرهاً فمقومات المجتمع الإنساني، وسلامة هذه المقومات ليس فقط مجرد حقوق للإنسان، وإنما هي فرائض وواجبات وضرورات وتحصيلها والحفاظ عليها عبادة.(عمارة: 1998: ص17-18)

وأول هذه الحقوق والحريات التي كفلها المنهج الإسلامي القويم هو حق الاعتقاد والتعبد، فالإسلام لا يأمر الناس بالدخول فيه بالقوة أو بالسيف بل بالاقتناع، ولذلك كفل حق غير المسلم في المجتمع المسلم في أن يعتقد ما يعتقد، وأن يتعبد بما يتعبد، طالما أنه لا يؤذي المسلمين ولا يظاهر عليهم، فلكل ذي دين دينه ومذهبه، لا يُجبر على تركه إلى غيره، ولا يُضغط عليه ليتحول منه إلى الإسلام.

ويبدو أن العمل جرى على هذا الأمر في تاريخ المسلمين، حيث ظهرت قدرة النظام الإسلامي على حماية حق حرية الاعتقاد والتدين، لقد أبدع النظام الإسلامي هذا التسامح على غير مثال سابق، فلم تعرف البشرية قبل الإسلام هذا التسامح والتعايش بين الشعوب المتعددة الديانات.

وكما يستلزم الأمن والسلم الاجتماعي فإن الإسلام أمن الإنسان على معاشه وعلى النحو الذي يحقق له الكفاية في الحاجات، وأمن الإنسان على نفسه وحريته، والكرامة التي كرمه بها خالقه سبحانه وتعالى، بما تستلزمه هذه الكرامة من العدل والمساواة، والأمن على خصوصيات النفس الإنسانية المحققة له السعادة والسكينة، قي محيطها العام من الأسرة والنسب والعرض والدين. وكما يستلزم الأمن والسلم والاجتماعي تحقيق هذه الضروريات، فلابد لهذا الإنسان- الذي هو المقصد والغاية- ولمقومات أمن وسلامته الاجتماعية من وعاء يحتوي ويصون هذا الإنسان وهذه المقومات، وهذا الوعاء هو الوطن الذي بدونه وبدون سلامته لا قيمة لأي حديث عن أي لون من ألوان السلم الاجتماعي، فإن الوطن وخاصة عندما تحيطه التحديات- من أي نوع كانت- هو السفينة التي تشق طرقها في بحر عاصف، وإذا اخترقت هذه السفينة فلا سلامة فيها ولا أمن لراكب فيها، بصرف النظر عما في رأسه من أفكار(عمارة: 1997: 109).

ولقد عزز الإسلام حرية الرأي التي تُعطى كل إنسان الحق في أن يقبل أو يرفض ما يُعرض عليه من آراء وأفكار وعقائد وموضوعات شتى , وعلى الآخرين أن يحترموا هذه الحرية . والقاعدة الشرعية في الفقه الإسلامي تقول: (إن كل عمل أو اتفاق يتم تحت الضغط والإكراه فهو باطل)، كما يقول فقهاء الإسلام (يمين المكره باطلة وما بني على باطل فهو باطل)، وأساس هذا الحق قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِين ﴾(سورة يونس : آية99).

وقد حمى الإسلام عناصر المجتمع فمنع الإكراه والإغراء لتحرر الفكر ويمنع التقليد، بل دعا الناس إلى النظر الحر في الكون وما شمل من أسرار، فالحرية في الإسلام مبدأ مقدس حتى في اختيار العقيدة لقوله تعالى :﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ﴾(سورة البقرة:آية256)

ولقد أقر الإسلام مبدأ العدالة بمعناها الواضح والشامل وجعله قاعدة من قواعد الحكم بين الناس، وهو يقوم على إعطاء كل ذي حق حقه، والعدالة الإسلامية تحمى المسلمين وغير المسلمين، وتفرض على أولى الأمر حماية حقوق الإنسان دون تمييز أو تحيز، وهذا يقوى ثقة الإنسان بنفسه وفى النظام السياسي الذي يعيش في كنفه، وهذا يدفعه إلى المطالبة بحقوقه وممارستها من دون حرج أو خوف، يقول تعالى في محكم آياته : (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة:8 .(شفيق :29)

فينبغي على خطيب المسجد أن يدعو المتخاصمين للحوار بالحسنى : فالقرآن الكريم يأمرنا صراحة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل: 125 . فالموافقون لك في الدين تدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والآخرون تجادلهم بالتي هي أحسن، وهناك طريقتان للحوار : طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها وأجود، فالمسلم مأمور أن يستخدم الطريقة التي هي أحسن وأمثل. وقد اكتفى القرآن مع الموافقين بأن تكون الموعظة حسنة، ولم يرض مع المخالفين إلا أن يكون الجدال بالتي هي أحسن .وينبغي على الإمام والخطيب كذلك التركيز على القواسم المشتركة بين المتخاصمين ؛ ففي مجال التقريب والحوار ينبغي ذكر نقاط الاتفاق، لا نقاط التمايز والاختلاف

ثالثاً: انحسار دور المسجد وأثره على السلم الاجتماعي

تراجع دور المسجد في الوقت الحاضر تراجعاً ملموساً، ويكفي أن تزور مساجد اليوم في العالم العربي الإسلامي حتى ترى بشكل عام أن دور المسجد أصبح يقتصر على أداء فريضة الصلاة في مواقيتها، وإلقاء بعض الدروس الدينية الأسبوعية للنساء أحياناً وللرجال في أحيان أخرى، وقد يضاف إلى هذا الدور في بعض المساجد دور آخر، هو إقامة احتفال بالمناسبات الدينية، وكذا تقديم بعض الخدمات للفقراء والمحتاجين، كجمع التبرعات والصدقات لمريض لا

يملك ثمن الدواء، وآخر لا يملك ثمن قوت يومه أو آخر أصيب بمكروه، وكأن الخدمات التي يحتاجها المجتمع أصبحت مقتصرة فقط على مساعدات فقير أو مصاب.

ولا شك أن تطور المجتمع العربي الإسلامي، وتغير تحركه أديا إلى إنشاء مؤسسات كانت ملحقة أو تابعة للمسجد، فالمؤسسة التعليمية كانت مسجداً قي الأصل، ثم انفصلت عن المسجد وأصبحت مستقلة بذاتها ولها كيانها الخاص، وكذلك المكتبات العامة، والمؤسسة السياسية والاجتماعية وغيرها انسلخت عن المسجد وأصبحت بعيده عن جوه وتأثيره وتوجهاته، وهكذا تحول دور المسجد شيئاً فشيئاً حتى أصبح مخصصاً لأداء فريضة الصلاة وإلقاء المواعظ الدينية والفتاوى الشرعية، وبهذا يكون المسجد فقد دوره كأهم وأول مركز نشاط في أي تجمع بشري إسلامي بعد أن كان يؤدي مجموعة من وظائف وخدمات دينية وسياسية واجتماعية وصحية وغيرها.(الصالح:200: 56- 57)

نتائج انحسار دور المسجد

بعد انحسار دور المسجد أصبح بالإمكان الانقضاض على المسلمين عندما تفرقوا وأصبحوا غير متماسكين، -وإن كثر عددهم- لأن قلوبهم شتى فلا يؤبه لهم، والأهم والأخطر من ذلك ما يلي:

- انتشار التطرف الديني بين الشباب في المجتمع الإسلامي، حيث أصبحوا لغياب دور المسجد في تنشئتهم وتوجيههم فريسة لغرس الأفكار المتطرفة بينهم.فإن الأمة التي تشكو من جنوح الشباب فيها وعدم التزامهم بالقيم الخلقية وانتمائهم إلى تشكيلات سرية، تم اندفاعهم إلى أعمال لا تتفق وحدود وتعليم الإسلام، مرد ذلك كله أن الشباب لم يجدوا اليد الحانية من هدى الإسلام وبعدهم عن المدرسة العظيمة، فنشئوا في فراغ ديني، وامتلأ قلبهم بالأوهام(عبيد: 1997: 25)
- انفصال سلوك المسلم عن عبادته، حيث أدى انحسار دور المسجد في أداء الصلوات بداخله، إلى غياب الوعي الديني لدى عامة المسلمين بحيث أصبح الكثير منهم يظن أن الدين محصوراً في أداء الأركان الخمسة له دون ما علاقة للدين بالنشاط اليومي للمسلم .(**الصالح: 2000: 57)**

وقد ذكر بعض الباحثين أن أسباب انحسار دور المسجد في وقتنا الحاضر تعود إلى:(محمود: 1396: 90)

- ضعف الكثير من المسلمين في تمسكهم بدينهم.
- البدع والشوائب التي انتشرت لجهل المسلمين بدينهم.
- انخداع بعض المسلمين بزخرف الحياة في المجتمعات غير الإسلامية.

- التغييب المتعمد لدور المسجد من جانب بعض الحكام، فمن المسجد كانت تخرج الثورات ضد ظلم الولاة وجور الحكام، ومن المسجد كانت تنطلق شرارة الحركات الإصلاحية، ومن المسجد كان يخشى الحكام المستبدون، وحتى لا يعلو صوت المسجد فقد عمد بعض الحكام في الدول الإسلامية إلى تغييب دور المسجد في حياة الأمة الإسلامية، وقد سلكوا طرقاً وأساليب عدة منها:(الصالح : 2000: 59)
- حصول أئمة المساجد والخطباء على رواتبهم من خزينة الدولة أدى ببعضهم إلى السكوت عن قول كلمة الحق.
- فصل الأئمة والخطباء الذين ينطقون كلمة الحق إذا ما تعلقت بالحاكم وسياسته.
- منع الوقف الخيري عن المساجد أو على الأقل تهميش دوره.
- منع غير المعينين من جهة الدولة من إلقاء الدروس العامة لجمهور المصلين داخل المسجد.

أهم الوسائل التي يمكن إحياء دور المسجد عن طريقها لإرساء السلم الاجتماعي

لابد أن يعود لمسجد ليكون ملتقى المسلمين، في كل الأوقات التي تستوجب وحدة الصف ووحدة الكلمة، وهذه الأوقات كثيرة في أيامنا الحاضرة، إضافة إلى ذلك فإن المسجد يجب أن يكون مركزاً للنشاطات الاجتماعية في المنطقة التي يقع فيها. ومن أهم الوسائل التي يمكن تقوم بإحياء دور المسجد نجملها بما يلي:

- اختيار الخطباء والدعاة وإعدادهم الجيد لأن الداعية له تأثير كبير في نفوس الناس وقلوبهم، فيجب على الخطباء والدعاة أن يكونوا ملمين بالعلوم الدينية، والتربوية والنفسية، والاجتماعية، إلى غير ذلك من العلوم التي تسهم في إعدادهم إعداداً متكاملاً وشاملاً. وعلى الخطباء أن يكونوا على دراية بالمذاهب الفكرية والملل والتيارات السياسية المؤثرة بشكل عام.(الصالح: 2000: 70-78)
- الاعتناء بحلقات العلم التي كانت سائدة من قبل حتى نعيد للمسجد وظيفته، ويصبح منارة دين وعلم وفكر.
- إلحاق بعض الخدمات الاجتماعية بالمساجد، التي تجعل الناس أكثر ارتباطاً بالمسجد حيث لا يمكنهم الاستغناء عنه.
- إنشاء قاعة للمحاضرات في الجوامع الكبيرة، أو بالقرب منها لاستخدامها للأغراض الاجتماعية لترشد الناس وتعاون في حل مشكلات الأسرة والمجتمع، وأن يشارك بها المتخصصون في كل المجالات التي تهم الناس، مع اختيار الموضوع الذي يتناسب مع الحضور، من حيث ثقافاتهم وأعماره وقدراتهم العقلية.
- تزويد المساجد بالمكتبات التي تساعد الباحثين والدارسين على الاطلاع عليها والاستفادة منها،ليكون المتردد على المكتبة له صلة بكل جديد في الفكر، وما يجري في العالم من تيارات فكرية.(عبيد:: 1997: 130)

- ربط الأنشطة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها بالمساجد لتكون أماكن تربية وتوجيه وإرشاد، وتكون مؤسسات اجتماعية للمناسبات المختلفة في حياة الناس، فتكون أماكن لفض المنازعات وإصلاح ذات البين، والاجتماع للصلح بين المتخاصمين والمتنازعين.

في نهاية المطاف نقول أن للمسجد دوراً فعالاً وكبيراً في تحقيق قيمة السلم الاجتماعي في المجتمع المسلم، فهو بحق أهم وسيط تربوي في مجتمعات المسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لما يتميز به المسجد من خصائص إيمانية، وفعاليات تربوية واجتماعية، وما ورد في الصفحات السابقة يعطي مؤشراً واضحاً لذلك

وحتى تؤدي هذه الرسالة وتؤتي ثمارها على أحسن وجه نوصي بالتالي :

أولاً : على إمام المسجد أن يتعرف على جماعة المسجد، وأن يتفاعل معهم اجتماعياً، ويعمل على كسب ثقتهم، ومن ثم وضع خطة لتحقيق مهمته الإرشادية .

ثانياً : ضرورة إعداد الإمام والخطيب الصالح والكفء علميا، وعمليا، وسلوكيا، لهذه المهمة الخطيرة الملقاة على عاتقه .

ثالثاً : أن يسعى الإمام والخطيب على تنمية قدراته معرفياً ودعوياً، وأن يواكب التغيرات والتطورات العالمية والأحداث من حوله، حتى يتمكن من طرح الرؤية الإسلامية الصحيحة بين المسلمين، لا سيما ما يتعلق بإزالة الشبهات التي يطرح عن الإسلام، وعلى تعاليمه السمحة .

رابعاً : أن يسعى إمام المسجد على تحقيق رسالة المسجد بكل جد وإخلاص، وأن يستعين بالوسائل العلمية الحديثة في هذا الشأن، وأن يستثمر في سبيل ذلك ما يمكن له من مناسبات، وفرص ووسائل، وخطط .

خامساً : أن يتم تركيز الاهتمام في الدروس المسجدية على قضايا تلامس الواقع الاجتماعي، وربطه بعقيدة الإسلام .

مراجع الدراسة

1. إسماعيل رضوان، دور المسجد في مكافحة الفقر والبطالة, ورقة عمل،www.brooonzyah.net
2. أنور الجندي، الإسلام وحركة التاريخ، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1868م
3. السنن الكبرى للبيهقي، رقم الحديث 4404 و 4405.،شعب الإيمان للبيهقي،رقم الحديث 228و3716.
4. سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس، دار الشروق، بيروت.
5. شفيق حمدي، الإسلام والآخر .www.saad.net/book/8/1620
6. صالح بن سليم الربخي، ورقة عمل بعنوان: المسجد ومهمة التربية الأخلاقية، مقدمة للندوة" الأخلاق الانسانية الرفيعة، الرياض,10- 11 ربيع الأول 1432ه.
7. صالح بن غانم السدلان، الأثر التربوي للمسجد، ورقة عمل،*www.islamhouse.com/pr/144873*
8. صحيح ابن حبان، رقم الحديث475، وسنن الترمذي، رقم الحديث1928، والمعجم الأوسط للطبراني ،رقم الحديث8505.
9. طاهر اللولو, دور المسجد في المحافظة على الأمن والاستقرار الاجتماعي، ورقة عمل، *www.ibnalislam.com*
10. عبد الرحمن الشرقاوي، على إمام المتقين، ج2 مكتبة عريب، القاهرة.
11. عبد الكريم بن صتيان العمري، دور المسجد في تحقيق مفهوم الأمن الاجتماعي، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 21/2-2/24 1425ه.
12. على فكري، أحسن القصص، ج3،(الخلفاء الراشدين) دار الكتب العلمية، بيروت.
13. علي عبد الحليم محمود، المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، القاهرة،1996ه.
14. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة ودار النفائس، 1981م.
15. محمد الصايم عثمان وآخر، المسؤولية الأمنية ودور المؤسسات التعليمية في تحقيقها، ندوة المجتمع والأمن،1425هـ، ص33
16. محمد الغزالي، علل وأدوية، دار القلم، دمشق،1985.
17. محمد الغزالي، ليس من الأسلام، مكتبة وهبة،ط6، القاهرة 1991.
18. محمد بن أحمد بن صالح الصالح، المسجد جامع وجامعة، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2000م.
19. محمد عبده، نهج البلاغة، دار الفكر العربي، ط1، 1996.
20. محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، 1998.
21. محمود عنبر،الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، 2000م
22. منصور الرفاعي عبيد، مكانة المسجد ورسالته، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة،1997م.
23. نصر فريد محمد واصل، آداب العلاقات الإنسانية في الإسلام"الحقوق والواجبات" المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1998.